عصر المرأة

للأستاذ محمود سلبي

ما زالوا بالمرأة يزينون لها أن تكشف ما ستر الله من حسنها ، حتى كان ما أرادوا ، وكشفت لهم المرأة عن أحسن ما فيها ، فى أحسن أساليب العرض .

قالوا لها لقد مضى عهد (الحريم) يا سيدتى ، وصفقوا لما قالوا ، وأوجست المرأة خيفة فى نفسها ، مما يقولون ، وجعلت تفكر وتفكر ، ثم استسلمت لهم أخيراً ، وخرجت عارية أو شبه عارية ! ! .

ونادى زبانية الفكر نساء العالم كله ، أن اخرجن أيتها الحميلات ، وشاركن فى كل شىء فلستن بعاجزات ولا فاجرات .

وكأنما المرأة قد انتفض فى باطنها مارد الانتقام ، فخرجت على كل شىء ، ودخلت فى كل شىء ! !

ونزلت إلى الحياة تحمل سلاحين ، سلاح الجمال ، وسلاح الأعمال .

أما سلاح الجمال فهو سلاح لا يقاوم ولا يدافع ، سريع المفعول ، فتاك الآثار .

وأما سلاح الأعمال فهى تؤديه كما يؤديه الرجل وزيادة .

فهى بذلك تتفوق على الرجل فى ميادين الحياة .

تتفوق عليه بسلاحها الخاص بها ، سلاح الجمال ، ذلك الذى تلقيه فى تحركاتها ، فتجد من يسرع إليها ، متطوعاً ، أو معجباً ، يعينها فيما شاءت ، ويفتح لها مغاليق ما تريد .

وتتساوى معه بعد ذلك فى قيامها بنفس العمل الذى يقوم به الرجل .

وإذا التقى سلاحان وسلاح عرفت النتائج قبل البحث فى المقدمات .

النتيجة أن المرأة تفتح لها الدنيا كلها الآن ، وأن الرجل تغلق فى وجهه أكثر مداخل الحياة ! ! .

لماذا . . . لأن المرأة دخلت الحياة بسلاحيها ، والرجل ذو سلاح وحيد . . . هو العمل .

وإذا عرف أن المرأة على استعداد لأن تنفق الكثير ليقال عنها جميلة ، أمكن إدراك الخطر الأكبر الذى يهدد العالم كله ، بسبب اطلاق المرأة .

لقد أطلقوها فانطلقت . . . حرة فى أوسع معانى الحرية .

حرة فى زينتها . . . ويا ويل العالم إذا عاشت المرأة حرة فى إبراز زينتها إلى الناس : إنها تحول كل شبر من الأرض ، تسعى عليه بساقيها ـ إلى معرض من معارض فتنتها ! .

حرة فى أفكارها . . . ويا ويل العالم إذا ترك المرأة تفكر كيف شاءت ، بلا قوامة من الرجل على تفكيرها ! .

حرة فى اختيار أسلوب الحياة الذى تريد هى أو تمليه على المجتمع . . . ويا ويل العالم إذا وضعت المرأة له أسلوب حياتها هى على أنه هو الأسلوب ! .

ووصلت كثير من المجتمعات الغربية إلى مستوى تمحى فيه الفوارق محواً تاماً بين الجنسين ، فكل ما للرجل هو للمرأة ، وكل ما للمرأة هو للرجل

ففى مجتمع أمريكا وصلت المستويات النسائية فيه حدا تسامت فيه على الرجال فى أكثر الأعمال .

فرجال الأعمال يفضلون المرأة الجميلة فى أعمالهم لأنها أقدر على جلب الزبائن ! .

والمرأة لها الصدارة فى الحفلات ، والبيوتات ، الفوق والمصانع ، اتات ، والإذاعات ، والأفلام ، والتأثير على جمهور الناخبين ! .

حتى أذواق « الموضة » بدأت تتجه إلى محاولة التوحيد بين أزياء النساء وأزياء الرجال ، تحقيقاً للفكرة المسيطرة عليهم ، فكرة التساوى بين الجنسين ! .

وجاء دور الدول المتخلفة فى المدنية ، فقامت هى الأخرى تقلد الدول السابقة فى هذا الميدان .

وأصيب تلك الدول بما يصيب المتخلف إذا أراد أن يلحق بمن سبقه ، أنه يريد أن يصل إلى مستوى سيده بأى أسلوب وبأى ثمن .

وهذا ما عليه المجتمع العربى الآن . . .

مجتمع متخلخل مضطرب ، لا يؤمن بتقاليده القديمة ، ولا يؤمن بعاداو الغرب الوافدة إليه .

فهو مجتمع بعانى عقدة نفسية حادة ، فلا هو يملك الجرأة لنبذ كل ما ب قديم ،

ولا هو يملك الجرأة للأخذ بكل ما هوجديد .

ويبدو هذان الاتجاهان واضحان متلازمان فى تصرفات كل إنسان عربى نال حظاً من الثقافة الحديثة .

هو مركب مختلط ، ومزيج ، فى تصرفاته وأفكاره ، ونظراته إلى الأمور .

حتام نبقى هكذا ؟ . وأين طابعنا العربى الخالص فى هذا النحو من الحياة ؟ .

فمن المعروف أن المرأة العربية ، امرأة لها تقاليدها العتيدة ، المؤسسة على الدين والعرف .

وأنها عاشت قروناً طويلة فى مجتمع انفصالى لا يسمح فيه بالاختلاط .

وأن هذا المجتمع الإنفصالى قد ترك رواسبه فى أعماقنا جميعاً .

وأن الرجل العربى لايطيق أن تخالط امرأته غيره من الرجال ، وأنه إذا سمح لها بذلك ، فهو يسمح به قهراً لا اختياراً ، ومجاراة لما هو كائن لا إيماناً بما هو قائم .

ومن المعروف كذلك أن سمات مجتمعنا العربى لم تتبين بعد فى هذه الزاوية من الحياة .

فكيف السبيل لنتبين طريقا إلى سمات المرأة العربيه الحديثة ، وما ينبغى أن تكون عليه نساؤنا ؟ .

إن أكثر الناس يظنون أن هذا الأمر هو أعقد العقد فى المجتمع العربى ، وأن الوصول إلى حل يرضى الجميع فى هذا المشكل هو احدى المستحيلات .

وهم يؤيدون نظريتهم تلك بقولهم أن المدنية الحديثة إما أن تؤخذ كلا أو تترك كلا ، وأن محاولة المزج بينها وبين التقاليد العربية محاولة فاشلة وجهد ضائع ، يؤدى بنا إلى مسخ الجانبين ، فلا نحن تغربنا ولا نحن تعربنا .

كذلك يقولون ، وهو قول له وجاهته ، وفيه شىء من الحق ، إلا أنه لا يحل إشكالا ، ولا يصنع علاجا .

والحقيقة أن الأمر سهل ميسور لو أخذناه بشىء من الحكمة والتفكير .

أما أن نزعم أن الأمر عقدة العقد ، ثم نجلس نتثاءب والزمان يمر سريعا علينا . فذلك شأن الفاشلين الحالمين ، لا شأن المجاهدين الثائرين .

أقول إن المخرج غاية فى السهولة ، وغاية فى البساطة . .

وما علينا إلا أن نتقهقر عبر القرون لنقف وجها لوجه مع أصل هذه البشرية كلها . . . آدم وحواء .

هنالك نجد الإنسان كما خلقه الله . . . ذكراً وأنثى ، ونجد توجيه الله تعالى للجنس كله فى قوله سبحانه « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . . . . » .

إذاً مسألة الملابس ينبغى أن يراعى فيها عدم الإثارة للجنس .

وهذا هو الأصل الأصيل فى مشكلة ملابس الخروج .

كل ملبس لا يثير للجنس فهو حلال ، وكل ملبس يثير للجنس فهو حرام .

وقد جاءت الشريعة الإسلامية الشاملة الكاملة فى هذا المضمار .

فحرمت أن يبدو الأجنبى من المرأة سوى وجهها وكفيها .

وحرمت كل ملبس تلبسه المرأة يشف عن جسمها أو يصف جسمها .

وفى حدود هذه التوجيهات العامة يمكن أن تنتظم ملابس الخروج لنسائنا العربيات .

ماذا أريد أن أقول ؟ .

أريد أن أقول إننا لسنا دعاة جمود ولا رجعية ، ولكننا لا نقبل الفجور والانحلالية .

والفضيلة دائما وسط بين رذيلتين .

فنقطة الالتقاء بين الرجعية والانحلالية يمكن أن تكون هى الفضيلة للمرأة العربية فى هذا الزمان .

ونحن لا نستطيع أن نقول للمرأة العربية الحديثة الآن أطيلى جلبابك حتى يجرجر من ورائك شبرين أو ثلاثة لأن الدين يحب هذا .

ولا نستطيع أن نقول عودى إلى الحبرة واليشمك ، لأن هذين الرداءين ليسا فرضا فى الإسلام .

ولكن نستطيع أن نقول لها كونى فاضلة بما يتناسب مع تقاليد عروبتك ودينك .

خذى من « المودات » ما يتناسب مع تلك التقاليد وانبذى منها ما يضاد هذه التقاليد .

فإن لم تجدى فى « المودات » ما يناسب تقاليدنا فانبذيها كلها ، وابتكرى أنت الأزياء العربية ، والمودات العربية .

وكما أصبحت لنا فلسفتنا السياسية المستقلة النابعة من ضميرنا ، وفلسفتنا

الاقتصادية النابعة من مصالحنا ، فإنه ينبغى أن تكون لنا فلسفتنا الاجتماعية النابعة من تقاليدنا .

لا ينبغى أن نظل عالة على الغرب فى أزيائنا بدعوى أنه لا يوجد لنا أزياء .

ينبغى أن يكون لنا أزياء . ينبغى أن يبرز الزى العربى النسائى إلى الوجود . . . ينبغى أن يعلن عن نفسه ، وأن تلبسه المرأة العربية ، وأن تتميز به بين نساء العالم كله حتى يقال هذه امرأة عربية .

ولست أدرى لماذا أبينا أن نقلد الغرب أو الشرق فى سياسته واقتصاده ، واعلنا فى العالم كله سياستنا الجديدة المستقلة . ولا نأبى أن تقلد نساؤنا نساء الغرب فى أزيائها .

إن ما نحن عليه هو من رواسب الاستعمار ، وقد خرج الاستعمار ، فينبغى أن تخرج معه رواسبه .

فالأمر إذا ليس عقدة العقد كما يتصورون ، بل هو يرتكز على أساس واحد ، هو عدم الإثارة .

وأى ملابس لخروج المرأة تحقق عدم الإثارة ، فهى ملابس عربية وهى ملابس إسلامية .

وفى نطاق هذا الاطار ينبغى أن تدور « الموضات » العربية ، وتتحدد سياستنا الاجتماعية .

وهو شىء عملى سهل إذا أردنا له تنفيذاً ، وأحببنا له تطبيقاً .

ما علينا إلا أن يحدد القانون لواضعى الأزياء النسائية الاطار العام لتلك الأزياء وأن يستضىء واضعوا ذلك القانون بهدى الشريعة فى ذلك الاتجاه ، وأن يكون فهمهم للشريعة فهم الرجل الحديث ، الفاقه لدينه ، المتطور مع زمانه .

وبهذا نقضى على تلك الفوضى فى أزياء نسائنا ...

تلك الفوضى التى سولت للمرأة العربية أن تكشف ظهرها ، وصدرها ، وتحت إبطها ، وساقيها ، لمن شاء أن يرى !! .

ولئن كان هذا أمراً غريباً طبيعيا فهو ليس بعربى ولا من طبيعتنا ... وإنما هى رواسب الاستعمار مازالت تعيش فى مجتمعنا .

وكما حددت الآية مهمة الشيطان أنه ينزع عن الجنس لباسهما ليريهما سوآتهما ، أى أنه يعمل جاهداً لينزع عن الجنسين لباسهما ليريهما عوراتهما :

ومتى تم ذلك تمت الاثارة ، ومتى تمت الاثارة تمت الجريمة . ومتى تمت الجريمة تخلخل المجتمع . وتطايرت الفضائل .

إن الغريزة الجنسية ليست فى حاجة إلى إثارة حتى نعمل على إثارتها بكل الطرق كما هو اتجاه المدينة الغربية الحديثة .

وإنما نحن فى حاجة إلى إنامتها فى المجتمع . ليتفرغ المنتجون إلى إنتاجهم ، والعاملون إلى أعمالهم .

أما أن نثيرها وتخرج نساؤنا يشعن الفتنة حيث سرن ، فذلك ليس من أخلاق العرب ولا من أخلاق الانسان ، وإنما هو انحطاط مابعده انحطاط فى المجتمع الانسانى.

ومن أعجب ما أصيب به الناس أنهم ألفوا ما نحن فيه ، وأصبح وليس من المستغرب أن يجرى بيننا هذا الانحلال ! .

فعلى الذين يريدون حلا لأزياء نسائنا أن يتفكروا فيما قلناه ... وسوف ينشرح صدرهم لما قلنا .

وعلى الذين يريدون إبراز سمات مجتمعنا العربى ، أن يلتمسوا ذلك من توجيه شرائعنا السماوية ، وعاداتنا العربية الكريمة .

وعلى الذين يريدون للمرأة العربية النهضة أن ينهضوا بها بحق ، وذلك بصيانتها من الابتذال والمهانة ، ورفعها إلى مقام الحفظ والصيانة .

وعلى الذين ينادون بالمساواة بين الرجال والنساء ، أن يعلموا أن المرأة امرأة والرجل رجل ، وأن الله أراد ذلك أزلا وأبدا رغم أنوفهم ، وأن الحق من ذلك الأمر أن يعرف كل جنس موضعه الصحيح من الحياة ، لا أن يشابه كل منهما الآخر.

فليس الحق أن تقول أن الماء والنار سواء ، ولكن الحق أن تقول أن الماء ماء والنار نار .

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ .